20 me année No 1007

Le Caire 20 — 10 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

قوة الكلمة

للأستاذ سيد قطب

فى بعض اللحظات لحظات الكفاح المرير الذى كانت الأمة تزاوله فى العهد الذى مات .. كانت تراودنى فكرة يائسة ، وتلح على إلحاحا عنيفا .. أسأل نفسى فى هذه اللحظات .. ما جدوى أن تكتب ؟ ما قيمة هذه المقالات التى تزحم بها الصحف ؟ أليس خيرا من هذا كله أن تحمل لك على مدس وبضع طلقات ، ثم تنطلق تسوى بهذه الطلقات حسابك مع الرؤوس الباغية الطاغية ؟ ما جدوى أن تجلس إلى مكتب ، فتفرغ حنقك كله فى كلمات ، وتصرف طاقتك كلها فى شئ لا يبلغ إلى تلك الرؤوس التى يجب أن تطاح ؟ !

ولست أنكر أن هذه اللحظات كانت تعذبنى . كانت تملأ نفسى ظلاما ويأسا . كانت تشعرنى بالخجل أمام نفسى . خجل العجز عن عمل شئ ذى قيمة !

ولكن هذه اللحظات لحسن الحظ لم تكن تطول . كان يعاودنى الأمل فى قوة الكلمة . كنت ألقى بعض من قرأوا لى مقالا ، أو أتلقى رسائل من بعضهم ، فأسترد ثقتى فى جدوى هذه الأداة . كنت أحس أنهم يتواعدون معى على شئ ما . شئ غامض فى نفوسهم ، ولكنهم ينتظرونه ، ويستعدون له ، ويثقون به !

كنت أحس أن كتابات المكافحين الأحرار لا تذهب كلها سدى : لأنها توقظ النائمين ، وتثير الهامدين ، وتؤلف تيارا شعبيا يتجه إلى وجهة معينة ، وإن لم تكن بعد متبلورة ولا واضحة .. ولكن شيئا ما كان يتم تحت تأثير هذه الأقلام

ولكننى مع هذا كنت أعود — فى لحظات اليأس والظلام — لأتهم نفسى . كنت أقول : أليس هذا الإيمان بقوة الكلمة تعلة العجز عن عمل شئ آخر ؟ ألا يكون هذا ضحكا من الإنسان على نفسه ليطمئن إلى أنه يعمل شيئا . وليهرب من تبعة التقصير والجبن ؟

وهكذا كنت أعيش طوال فترة الكفاح الماضية .. حتى شاء الله أن يطلع الفجر الجديد ، وأن تنكشف الغمة المتمة ، وأن يتنفس الناس الهواء النظيف الذى حملته الثورة ، وأن يصبح هذا الصراع ذكرى يضمها التاريخ فى ثناياه ..

واليوم خطر لى أن أرجع إلى بعض القصاصات التى تحوى بعض ما كنت أكتب فى ذلك العهد الرهيب ..

ولست أنكر أننى فوجئت مفاجأة شديدة .. إن قوة الكلمة شئ عجيب . إن أحلاما كاملة قد أصبحت حقيقة واقعة ، وأن نبوءات قد صحت برمتها .. لكأنما كانت أبواب السماء مفتوحة والمكافحون الأحرار يكتبون ويتوجهون بكل قلوبهم مع هذه

الكلمات .. وإلا فمن يصدق — حتى أنا — أنني كتبت منذ أكثر من عام مثل هذه الفقرات :

« لقد بدأنا في هذه المرة بدءا أكيدا لأننا بدأنا بدءا صحيحا . لقد خر اثنان من الفلاحين مضرجين بدمائهما الطاهرة ، أولهما في كفور نجم بتفتيش محمد علي .. والثاني في بهوت في تفتيش البدراوي

« لقد سالت دماؤهما في هذه المرة لا في ثأر عائلي ولا في معركة انتخابية كما اعتادت سجلات البوليس أن تسجل، ولكنها سالت في معركة الأرض ! الأرض الطيبة التي روى تربتها الملايين بالعرق والدموع ، ولم ينالوا منها شيئا ، ثم ها هم أولاء أخيرا قد بدأوا يروونها بالدماء . ولن تخونهم الثمرة في هذه المرة لأن بذرة الدم لم تخب يوما في التاريخ ولن تخيب

« لقد خر أول شهيدين في معركة الأرض المقدسة أردتهما الأيدي الأثيمة . وسيتبعهما آخرون حتما . فهذا الإقطاعي المجنون لن يصبر على أن يرفع العبيد رءوسهم . ولن يطيق أن يسوء أدب الرقيق في حق الأسياد . ولن يكف عن إراقة الدماء وإذن فلقد بدأنا !

« إن ملكية هذه الأرض الطيبة قد ردت على أصحابها الحقيقيين . إن وثيقة التملك السماوية قد كتبت ولن تفسخ أبدا.. لقد كتبت بالمادة التي لا تمحى . كتبت بالدماء ، فإذا لم تكن ذات الأرض قد ردت بعد ، فإنها منذ اليوم تعد مغصوبة والاغتصاب لن يدوم

« إن هؤلاء الإقطاعيين الحمقى سيوقعون في كل يوم وثيقة بالتنازل عن الأرض المغصوبة . سيوقعونها في صورة رصاصة طائشة تخترق صدر شهيد ، أو بلطة مجرمة تمزق جثمان بطل . ولكنها ستكون هي هي وثيقة التنازل عن الأرض ووثيقة التملك للآخرين المحرومين

« لقد طال ليل الظلم وطال ارتقابنا للفجر الجديد.. ثم هاهو الفجر يلوح .. لقد تلألأت أشعته الأولى ، تلألأت في هذه القطرات الزكية من الدم المسفوح . إنها ليست قطرات من الدم الرخيص في معركة انتخابية ، إنها دماء عزيزة غالية لأن وراءها قضية طال عليها العمر . قضية مرت بها القرون تلو القرون . قضية كانت في حاجة إلى مستند لا ينقض ، وإلى حجة لا ترد ، ولقد كتبت هذه الحجة الأزلية في كفور نجم وفي بهوت . كتبت وانتهت وليس إلى مرد من سبيل !

وستكتب في كل يوم وثيقة جديدة . ستكتب بفضل حماسة الحمقى الذين لا يؤمنون بالنذر ، الذين تأخذهم العزة بالإثم ، الذين مردوا على التكبر الفاجر والاستنلال القذر . الذين لا يطيقون أن تقف قامة واحدة منتصبة ، ولا رأس واحد مرفوعا ، الذين ألفت عيونهم رؤية الراكعين الساجدين في عشرات القرون

إن هذه القطرات الطاهرة من الدماء العزيزة ستتحول نارا مقدسة تحرق ، ونورا سماويا يضيء ، ولن تخمد الشعلة أبدا بإذن الله ، ولن ينطفئ النور أبدا وهو من نور الله !

اللهم حمدا لك وشكرا . . اللهم حمدا لك وشكرا . . اللهم بارك نارك المقدسة التي أوقدت ، ونورك السماوي الذي أطلعت ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . . »

قرأت هذه الفقرات التي كتبت منذ أكثر من عام مضى ، ثم عدت أسأل : أية قوة غير قوة الكلمة كانت تملك في ذلك الوقت الرهيب المظلم أن تشق حجاب الغيب ، وأن تتجاوز العقبات والأشواك ، وأن ترقم في السجل الخالد ذلك الواقع المشهود ؟

ثم عدت أسأل من جديد : ما سر قوة الكلمة ؟

إن السر العجيب ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات ؛ إنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلولات ! إنه في ذلك العنصر الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية ، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس

في هذا يكمن سر الكلمة وفي شيء آخر : في استمداد الكلمات من ضمائر الشعوب ، ومن مشاعر الإنسان ، ومن صرخات البشرية ، ومن دماء المكافحين الأحرار

إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها ، وتجمعها ، وتدفعها .. إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنها نقتات قلب إنسان حي . كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان . أما الكلمات التي ولدت في الأفواه ، وقذفت بها الألسنة ، ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي ، فقد ولدت ميتة . ولم تدفع بالبشرية شبرا

واحداً إلى الأمام . . إن أحدا لن يتبناها ، لأنها ولدت ميتـة . والناس لا يتبنون الأموات !

إن أصحـاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئا كثيرا . ولـكن بشرط واحد : أن يموتوا هم لتعيش أفـكارهم. أن يطعموا أفـكارهم من لحومهم ودمائهم . أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ، ويقدموا دماءهم فداء لـكلمة الحق .. إن أفـكارنا وكلماتنا تظل جثثا هامدة ، حتى إذا متنا فى سبيلها أو غذيناها بالدماء ، انتفضت حية ، وعاشت بين الأحياء !

فإلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم ، يكدون قرائحهم ، لينتقوا اللفظ الأنيق ، وينمقوا العبارة الرنانة ، ويلفقوا الأخيلة البراقة .. إلى هؤلاء أتوجه بالنصيحة : وفروا عليكم كل هـذا العناء ؛ فإن ومضة روح ، وإشراق قلب ، بالنار المقدسة ، نار الإيمـان بالفـكرة .. هو وحده سبب الحياة . حياة الـكلمات وحيـاة العبارات !

* * *

ثم ماذا ؟

ثم لا يقعدن القادر على العمل وهو يطمع أن يؤدى واجبه بالـكلام .. ذلك خاطر أحب أن أحذر منه بعد ما أسلفت من الإيمان بقوة الـكلمة ، وإلى آثارها الملموسة فى الحياة

إنه فى كثير من الأحيان يكون القول الفصل للشـاعر الذى يقول :

السيف أصدق إنباء من الـكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

وفى كثير من الأحيان يصبح من العبث أن نظل نتكلم ونتكلم ، ثم لا نفعل شيئا . إن الـكلمات فى هـذه الحالة تـكون استهلاكا للطاقة الـكامنة وليست توليدا للطاقة

ثم إن عددا نادرا من الـكتاب الموهوبين هم الذين يملـكون أن يحولوا الـكلمات إلى طاقة . أما القاعدة فهى أن يعمل الناس ، وأن يحققوا بالعمل ما يريدونه من مقدرات

والـكلمة ذاتها — منها تـكن مخلصة وخالقة — فإنهـا لا تستطيع أن تفعل شيئا ، قبل أن تستحيل حركة ، وأن تتقمص إنسانا . الناس هم الـكلمات الحية التى تؤدى معانيها أبلغ أداء

إن الفارق الأساسى بين العقائد والفلسفات أن العقيدة كلمة حية تعمل فى كيان إنسان ، ويعمل على تحقيقها إنسـان . أما الفلسفة فهى كلمة ميتة ، مجردة من اللحم والدم ، تعيش فى ذهن ، وتبقى باردة ساكنة هناك

ومن هنا كانت العقائد هى الحادى الذى سارت البشرية على حدائه ، فى درب الحياة المتعرج الطويل . تصعد الروابى وتهبط السفوح ، وتردد حداءه فى المتاهة المهلـكة ، فتنجو وتحيا ، وترتقى وتثق فى رسالتها ، لأنها رسالة تنبع من أعماق الضمير ، ويشتعل بها الوجدان ، ويتلألأ بها الشعور

إنه لا بد من عقيدة . وقوة الـكلمة إنما تنبع من أنها ترجمان العقيدة . والعقيدة هى التى يغذيها النـاس بحياتهم فتوهب لهم الحيـاة

سيد قطب